ديكارت

١٥٩٦ — ١٦٥٠

ليوسف كرم
أحد مدرّسي الفلسفة بالجامعة المصرية

تحتفل فرنسا هذا العام، وتحتفل معها المعاهد العلمية في أنحاء العالم، بانقضاء ثلاثة قرون على نشر ديكارت كتابه الشهير «مقال في المنهج». ومنذ مفتتح العام وديكارت حديث العلماء والمثقفين في محاضرات عامة، ودروس خاصة، وبحوث تظهر في المجلات والجرائد. وقد بلغ الاحتفال أوجه بمؤتمر جامع عقد بباريس في غرة اغسطس الماضي أمّه العلماء والمثقفون من كل صوب ودام اسبوعاً كاملاً. ولا عجب ان تصيب هذه الذكرى مثل هذه العناية فان ديكارت عالم وفيلسوف من الطبقة الاولى لاينتهي النظر في آثاره العلمية والفلسفية ولا يفرغ الكلام عنه

ويزيد في مكانته أثره البالغ في الفكر الحديث. فقد كان العصر الحديث منذ « النهضة » يضطرب بميول جديدة ويستكشف علماً جديداً ، كان ينفر من كل سلطان في العلم والفلسفة والدين، ويطلب للعقل استقلاله التام ، ويحاول اقامة علم طريف قاعدته الملاحظة والاختبار ليس غير، يريد به انتزاع اسرار الطبيعة للسيطرة عليها وتوجيه قواها ، او قوانينها ، لزيادة رفاهية الانسان وتحقيق سعادته على وجه الارض . وكان يلتمس طريقه الى توضيح تلك الميول وتسويغها ليعارض المذهب القديم بمذهبه الجديد ، والى تهذيب ذلك العلم وتوطيده ليقيم الدليل على صدق نزعته. فلما جاء ديكارت احسّ تلك الميول احساساً قويًّا ، وفهم ذلك العلم فهماً تامًّا، وساهم فيه مساهمة خصبة، ثم وضع فلسفة تؤيّده وتحميه وترفع الميول الناشئة من مستوى العاطفة والارادة الغامضة الى مستوى العقل والحق والقانون ، واعلن كل ذلك في الكتاب الذي احتفل به القوم هذا العام فكان الكتاب دستور العصر واستحق صاحبه ان يدعى « ابا الفلسفة الحديثة »

١ — حياته ومصنفاته

ولد رينيه ديكارت سنة ١٥٩٦ في لاهاي من اعمال مقاطعة تورين بفرنسا . ولما بلغ الثامنة ادخل مدرسة «لافليش» للآباء اليسوعيين وكانت من أشهر المدارس في أوربا ، فمكث بها ثماني سنين حتى أتمّ برنامج الدراسة فيها . وكانت الفلسفة تحتل في هذا البرنامج مكاناً فسيحاً تشتد على الثلاث سنوات الاخيرة من سنيه ، وكان تدريسها عبارة عن شرح كتب ارسطو موزعة الى مجموعات ثلاث ، لكل سنة مجموعة . كتب المنطق ، فكتب العلم الطبيعي (والى جانبها الرياضيات) فكتاب النفس وكتاب مابعد الطبيعة . وأعجب ديكارت بوضوح الرياضيات ودقتها وإحكام براهينها ، اما الفلسفة فتركت في نفسه أثراً سيئاً لكثرة ما فيها من أخذ ورد ، واعتقد ان اختلاف الفلاسفة مدعاة للشك في الفلسفة والشك في باقي العلوم . فان هذه العلوم قائمة على الفلسفة تستمد مبادئها منها . هذا ما نقرأ في « المقال » ولعل ديكارت يضيف الى عهد الشباب حكماً نضج عنده في الكهولة . على ان من المحقق انه أعلق بالرياضيات وانصرف عن الفلسفة ، ولم يعد اليها ، الا بعد مضي زمن طويل . فكان يخصص لها « ساعات في اليوم »

غادر اذن المدرسة وهو في السادسة عشرة . وبعد ذلك باربع سنين (١٦١٦) تقدم لامتحان القانون في بواتيه ونال الشهادة . وسنة (١٦١٨) تطوّع للخدمة في جيش الامير موريس دي ناسو بهولاندا ، وكانت حينذاك حليفة فرنسا على الاسبان . وعرف هناك طبيباً شاباً اسمهُ اسحق بكمان وكانا يشتغلان بمسائل رياضية وطبيعية رياضية وهذه مرحلة هامة في حياة ديكارت فان فكره تكوّن في الوقت الذي كان العلم الطبيعي الحديث يتكون فيه بتطبيق المنهج التجريبي والاستدلال الرياضي على الظواهر الطبيعية

وفي السنة التالية (١٦١٩) ترك جيش الامير الى جيش آخر فآخر من جيوش الأمراء الالمان . وحلّ الشتاء وخلا بنفسه في حجرة دافئة في قرية مجاورة لمدينة أولم ، وبينما هو في ذلك تملأه نشوة علمية غريبة بلغت أقصاها في العاشر من نوفمبر اذا به يستكشف في حلم « أسس علم عجيب » . هذا الحلم يدلنا على شدة استغراق ديكارت في تفكيره ؟ أما العلم العجيب فقد تضاربت فيه الآراء وأغلب الظن ان المقصود «منهج كلي» يردُّ به العلوم جميعاً الى الوحدة ، ذلك المنهج الذي سيعلنهُ في « المقال »

وعدل عن المهنة العسكرية وراح يطوف انحاء أوربا تسع سنين حتى جاء باريس سنة ١٦٢٨ . تسع سنين لم ينقطع في أثنائها عن معالجة المسائل الطبيعية بالطريقة الرياضية ، أي بتجريدها من المبادىء الفلسفية التي كانت لاصقة بها عند أرسطو والمدرسيين ، وردها الى مسائل رياضية .

والى هذا الدور يرجع استكشافه للهندسة التحليلية اي تطبيق الجبر على الهندسة . فقد كان الجبر كثير الصيغ معقدها ، وكانت الهندسة مقتصرة على النظر في الاشكال ، ولم يكن بين العلمين صلة فبدا لديكارت ان الهندسة والحساب يقومان بالترتيب والقياس ، وان المطلوب من الجبر التعبير عن أعم قوانين الترتيب والقياس ، وان من الممكن وضع علم تكون صيغه أبسط من صيغ الحساب وأكثر تجريداً من أشكال الهندسة ، فتنطبق على الاعداد والاشكال جميعاً اي على كل ما هو مرتب وقابل للقياس . فرمز بأحرف لخطوط الشكل الهندسي ، وعلاقات هذه الخطوط ، ومثل الشكل بمعادلة جبرية تعبر عن خصائصه الاساسية ، حتى اذا ما وضعت هذه المعادلة فيكفي استخراج نتائجها بالجبر لاستكشاف جميع الخصائص — والى ذلك الدور ايضاً يرجع كتابه « القواعد لتدبير العقل » وهو بمثابة منطق جديد مستمد من مناهج الرياضيين ، ولكن ديكارت لم يتمه فبقي مطوياً الى ان طبع بعد وفاته بنصف قرن (١٧٠١) . وفي باريس ظهر اهتمامه بالمسائل الفلسفية ولكن على نحو مستكر أعجب به الكردينال دي بريل فشجعه تشجيعاً حاراً على مواصلة بحثه وتكميل مذهبه ، خدمة للدين وصداً لهجمات الزنادقة

ولم ترقه الحياة في باريس فقصد الى هولاندا في أواخر سنة ١٦٢٨ يطلب العزلة . وكتب رسالة قصيرة في « وجود الله ووجود النفس » يرمي بها الى وضع أسس علمه الطبيعي — وسنرى فيما بعد السبب في محاولته ربط العلم الطبيعي بالفلسفة ، وفي السنة التالية عاد للاشتغال بالطبيعيات وشرع في تحرير كتابه « العالم » وواصل العمل فيه الى سنة ١٦٣٣ . وفي تلك السنة أدان المجمع الكنسي غليليو لقوله بدوران الارض ، وكان ديكارت قد وصل من جهته الى مثل هذا القول فطوى كتابه — وكان شديد الحرص على هدوئه ، فلم ينشر الكتاب إلاّ بعد وفاته بسبع وعشرين سنة (١٦٧٧)

على انهُ رأى ان يمهد الطريق لمذهبه ويجس النبض ، فأذاع سنة ١٦٣٧ شيئاً من علمه الطبيعي في ثلاث رسائل قدّم لها برسالة يقص فيها تطوُّر فكره ، ويجمل مذهبه في الفلسفة والعلم . وكان العنوان الاصلي للكتاب برمته « مشروع علم كلي ، يرفع طبيعتنا الى أعلى كمالها ، يليه البصريات والآثار العلوية والهندسة ، حيث يفسر المؤلف اغرب ما استطاع اختياره من موضوعات تفسيراً يسهل فهمه حتى على الذين لم يتعلموا » . فاستبدل به هذا العنوان « مقال في المنهج لاجادة قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم ، يليه البصريات والآثار العلوية والهندسة ، وهي تطبيقات لهذا المنهج » ويبين لنا من ذلك أن الوحدة قد تمت في فكر ديكارت بين الفلسفة والعلم الطبيعي الرياضي والغاية المرجوة منهُ وهي « رفع طبيعتنا الى اعلى كمالها »

واراد ان يعرض مذهبه على اللاهوتيين باللاتينية بعد ان عرضهُ على عامة المثقفين بالفرنسية فعاد الى ما في « المقال » من آراء فلسفية فتوسع في شرحها وتأييدها فكان لهُ من ذلك كتاب اسماه « التأملات في الفلسفة الاولى ، وفيها البرهان على وجود الله وخلود النفس » . وقبل تقديمها للطبع استطلع فيها رأي نفر من هؤلاء اللاهوتيين ليستدرك ما قد يأخذونهُ عليه فيهيء للكتاب قبولاً حسناً وينال رضى لاهوتيي السوربون ، فوضعوا عليها اعتراضات كثيرة ألحقها بالتأملات وعقب عنها بردوده ونشر الكل سنة ١٦٤١ . وفي الطبعة الثانية (١٦٤٢) قال في العنوان « تمايز النفس من الجسم » بدل « خلود النفس » على اعتبار ان النفس اذا كانت متمايزة من الجسم كانت خالدة . ونشرت للكتاب ترجمة فرنسية سنة ١٦٤٧ بقلم الدوق دي لوين

وخطر لديكارت ان انجع وسيلة لاذاعة فلسفته وعلمه الطبيعي ربما كانت تلخيصها في كتاب مدرسي سهل التناول ، فنشر سنة ١٦٤٤ باللاتينية (وكانت لغة العلم والتعليم في اوربا) كتاب « مبادىء الفلسفة » وحاول ان يحمل معلميه السابقين على تقريره في مدارسهم فيحل محل ارسطو فلم يجيبوه الى رغبته . ونشرت للكتاب ترجمة فرنسية سنة ١٦٤٧ قدم لها المؤلف برسالة الى المترجم عرض فيها فلسفته عرضاً عامّاً

ومن ذلك الحين مال الى الاخلاق ، وكتب فيها رسائل الى الاميرة اليصابات ابنة فريدريك ملك بوهيميا المعزول واللاجيء الى هولاندا . ثم وضع « رسالة في انفعالات النفس » وهي آخر مؤلفاته نشرت سنة ١٦٤٩

هذه الاقامة الطويلة في هولاندا تخللتها ثلاث رحلات قصيرة الى فرنسا (١٦٤٤ و ١٦٤٧ و ١٦٤٨) ومناقشات حادة بينهُ وبين بعض العلماء واللاهوتيين ونزاع عنيف بين انصاره ومؤيديه وفي سنة ١٦٤٩ قصد الى استكهولم تلبيةً لدعوة كرستين ملكة السويد فتأثر بالبرد وساءت صحته ، وقضى في ١١ شباط ١٦٥٠

***

٢ — الشك واليقين

لكل علم مبدأ ، فأين نلتمس المبدأ الذي نقيم عليه العلم ؟ ان عقلنا مشحون باحكام ألفناها في عهد الطفولة ، او تقبلناها من المعلمين قبل تمام النضوج والرشد . واذا نظرنا في العلوم ألفيناها تكونت وتضخمت شيئاً فشيئاً بمعاونة رجال مختلفين فجاءت كالثوب الملفق او البناء المرمم . فمن الضروري اذا اردنا ان نقرر شيئاً محققاً في العلوم ، أن نبدأ العمل من جديد فنطرح كل ما دخل

عقلنا من معارف ونشك في جميع طرق العلم وأساليبه ، مثلنا مثل البناء يزيل الانقاض ويحفر الارض حتى يصل الى الصخر الذي يقيم عليه بناءه . والاساس الذي نريد الوصول اليه هو العقل مجرداً خالصاً ، فان العقل واحد في جميع الناس اذ انه الشيء الوحيد الذي يجعلنا اناسي ويميزنا من العجماوات ، فهو متحقق بتمامه في كل انسان . وما منشأ تباين الآراء سوى تباين الطرق في استخدام العقل . ولسنا بحاجة الى التدليل على كذب آرائنا السابقة ليسوغ لنا اطراحها على هذا النحو ، بل يكفي ان نجد فيها اي سبب للشك اذ ليس الشك مقصوداً هنا لنفسه بل لامتحان معارفنا وقوانا العاقلة . ولسنا في حاجة كذلك الى استعراض تلك الآراء رأياً رأياً ، بل يكفي ان نتعرض للمبادىء ، فان هدم الاساس يجر وراءه هدم البناء

يقول ديكارت : اذن فانا اشك في الحواس لانها خدعتني احياناً ، ولعلها تخدعني دائماً ، وليس من الحكمة الاطمئنان الى من خدعنا ولو مرة واحدة — وانا اشك في استدلال العقل لان الناس يخطئون في استدلالاتهم ومنهم من يخطىء في ابسط موضوعات الهندسة ، فلعلي اخطىء دائماً في الاستدلال . ومن دواعي الشك ايضاً ان نفس الافكار تخطر لي في النوم واليقظة على السواء ، ولست اجد علامة محققة للتمييز بين الحالتين ، فلعل حياتي حلم متصل — ومما يزيد في ميلي الى الشك اني اجد في نفسي فكرة اله قدير يقال انه كلي الجودة وهو مع ذلك يسمح ان اخطىء احياناً ، فاذا كان سماحه هذا لا يتعارض مع جودته فقد لا يتعارض معها ان اخطىء دائماً . ولكن مالي ولله . فقد يكون هناك روح خبيث قدير يبذل قدرته ومهارته في خداعي فاخطىء في كل شيء ، حتى في ابسط الامور وأبينها مثل ان اضلاع المربع اربعة وان اثنين وثلاثة تساوي خمسة

ولكني في هذه الحالة من الشك المطلق اجد شيئاً يقاوم الشك . ذلك اني اشك . فانا استطيع الشك في كل شيء ماخلا شكي . ولما كان الشك تفكيراً فانا أفكر ، ولما كان التفكير وجوداً فانا موجود : «أنا افكر إذن فأنا موجود» . تلك حقيقة مؤكدة واضحة جلية خرجت لي من ذات الفكر ، لها ميزة نادرة هي إني أدرك فيها الوجود والفكر متحدين اتحاداً لا ينفصم . ومهما يفعل الروح الخبيث فلن يستطيع أن يخدعني فيها ، لانه لا يستطيع أن يخدعني إلا ان يدعني أفكر . واذن فانا اتخذها مبدأ أولاً للفلسفة . الفكر مبدأ لانه وجود معلوم قبل أي وجود ، وعلمه أوضح من علم اي وجود . هو معلوم بداهة ، ومهما فلم تنحصر بفكرنا أعلم ، فانه لو اعتقدت ان هناك أرضاً بسبب إني المسها وأبصرها فيجب أن اعتقد من باب أولى أن فكري موجود اذ قد «افكر» اني المس الارض دون أن يكون هناك أرض ، ولكن ليس من الممكن ألا أكون

في الوقت الذي افكر فيه — ثم أنا أتخذ هذه الحقيقة الاولى معياراً لكل حقيقة ، فكل فكرة تعرض لي بمثل هذا الوضوح ومثل هذا الجلاء اعتبرها صادقة

على أن الطبع الإنساني الى الجلاء والوضوح ما يزال مفتقراً الى التثبت ،فقد يكون خالقي صنعني بحيث اخطىء في كل ما يبدو لي بيناً ، او قد يكون صح للروح الخبيث ان يخدعني دائماً . الحق انهُ بدون معرفة وجود الله وصدقه فلست ارى ان باستطاعتي التحقق من شيء البتة . أعود إذن الى فكرة الله ، التي كانت سبباً من اسباب الشك ، فأجد انها فكرة موجود كامل والكامل صادق لا يخدع ، فان الخداع نقص لا يتفق مع الكمال . وعلى ذلك فأنا واثق بأن الله صنع عقلي كفوءاً لادراك الحق،وما عليّ إلا ان اتبين الأفكار الواضحة وصدق الله ضامن لوضوحها

سنعرض بعد هنيهة الأدلة على وجود الله ونقدر قيمتها ، ونقف الآن عند هذه المراحل الثلاث الاولى من مراحل المنهج الديكارتي : الشك المطلق ، فوضوح الفكر، فالضمان الالهي ، ونسأل : هل هذا المنهج سائغ؟ أما الشك الديكارتي فلسنا نوافق على انهُ فرضي منهجي. ولكي يكون الشك فرضيًا منهجيًا يجب ان يكون صوريًا وجزئيًا ، وديكارت يشك حقيقة وفي كل شيء ، أو هو يشك في كل شيء فيصبح شكه حقيقيًا بالضرورة. انهُ يصرح ان «ليس هناك شيء إلا ويستطيع أن يشك فيه على نحو ما » ، فهو يشك في وجود الاجسام الخارجية وفي وجود جسمه وفي البراهين الرياضية والمبادىء العقلية ، فاذا ما أحس أن مثل هذا الشك الكلي معارض لطبيعة العقل استعان بالارادة وقال : « أريد أن اعتبر كل ما في فكري وهماً وكذباً » وألحّ على فكره الحاحاً عنيفاً ليحقق فيه حالة الشك الصحيح . فلو أنهُ قصر الشك على الامور غير البينة المفتقرة إلى برهان، واستثنى المبادىء الاولية البينة في نفسها ، لامكنهُ الاستناد الى هذه المبادىء للخروج الى اليقين ، ولكنهُ يشك في العقل ذاته فشكهُ كلي حقيقي يمتنع الخروج منهُ . أما مبدؤه « أنا أفكر إذن فأنا موجود » فليس مجديه شيئاً للخلاص من مأزقه ، فأنا قد نستوثق من فكرنا — وأي شاك شك في فكره ؟ — ثم لا نستوثق من شيء آخر على الاطلاق . لأن الروح الخبيث ما يزال ظله عنيفاً فوق رؤوسنا ينشر الظلام على الافكار الواضحة الجلية ويشككنا فيها ، فلئن فاته خداعنا في وجود الفكر فان سلطانهُ باقٍ بتمامه على « موضوعات » الفكر فيمتنع التقدم خطوة واحدة . وليس صدق الله بمغنٍ شيئاً في طرد الروح الخبيث لأن فرض هذا الروح سابق معرفتنا الله فيجب الشك في هذه المعرفة ذاتها ، وديكارت لا يخرج من شكه الا بدور واضح : فمن جهة يجب البرهنة على وجود الله الاستناد الى العقل والافكار الواضحة كوسائل لا تخدع ، ومن جهة أخرى لاجل التحقق من أن العقل والافكار الواضحة لا تخدع

يجب العلم أولاً بوجود الله . فالواقع أن المنطق كان يقضي على ديكارت أن يظل على شكه يردد طول حياته : « أنا أفكر وانا موجود » ، مثله مثل ذلك الشاك اليوناني الذي عدل عن الكلام مخافة الاضطراب للاعجاب والسلب فكان يكتفي بتحريك أصبعه . ولكن ديكارت لا يرضى بهذا الموقف ، وكما « أراد » الشك كلياً فهو « يريد » الوصول إلى اليقين وضمان العلم مهما يكن من امر المنطق

***

٣ — التصور والوجود

والمسألة بعد اكثر تعقيداً ، فان الشك المطلق ينطوي على تصورية مطلقة هي روح المذهب ونقطته المركزية . ذلك ان التصور عند ديكارت تصور بحت لا ادراك شيء واقعي ، والفكر عنده لا يدرك ادراكاً مباشراً غير نفسه ، والا لما امكن الشك في العالم الخارجي . فديكارت اذ يأبى ان يقبل شيئاً دون الفكر ، واذ يشك في موضوعات الفكر فيؤمن بتفكيره في السماء والارض ويشك في وجودهما ، يفصل بين ما لافكارنا من وجه ذاتي وما لها من وجه موضوعي ، ومن ثم يفصل بين الفكر والوجود فصلاً تاماً . ومتى كان الفصل تاماً لزم انه نهائي واستحال ادراك اي وجود خارجي كما سنرى

واذا سألت ديكارت عن علة الافكار اجاب : قد اكون انا تلك العلة ، اذ ليس من الضروري ان تصدر الافكار عن اشياء شبيهة بها ، بل قد تصدر عن علة حاصلة بالذات على الكمال المثل فيها ، او حاصلة عليه على نحو اسمى ، وأنا حاصل على الفكر بالذات وعلى حقائق الاجسام على نحو اسمى لان الجسم دون الفكر ، فالافكار صادرة عني

ومع ذلك سيطلب لها ديكارت اصولاً خارجية يجعلها موضوع العلم الطبيعي ، وسيتخذ سبيلاً الى ذلك وجود الله وصدقه ايضاً

اذن فأمامنا مسألتان : هل افكارنا صادقة ؟ وهل لها موضوع في الخارج ؟ وديكارت يقدم الاولى على الثانية ، كما يقتضي مبدؤه التصوري . يقول : « قبل ان افحص عما اذا كان هناك اشياء خارجية يجب ان انظر في افكاري من حيث هي كذلك ، وان اتبين ايها واضح وايها غامض » . فالفكرة الصادقة ، اي الواضحة ، هي التي يقابلها موضوع ، اما الفكرة الغامضة فتعال ذاتي . وهذا يعني ان العالم الخارجي لا يُعلم الا بعد افكاري وعلى مثالها ، وان الحقيقة (اي الوضوح) سابقة في علمي على الوجود ، وانها جسر بين الفكر المعلوم اولاً والاشياء المعلومة

بعده وتبعاً له — وهذا هو المذهب التصوري (ايدياليزم) ابتدعهُ ديكارت وتابعهُ فيه الفلاسفة المحدثون فوقعوا في اشكالات لاتحصى. وظن ديكارت ان صدق الله يحل المسألتين،ورد المعرفة الانسانية فيهما، والواقع انهُ يهدمها هدماً. اذ لو كان لدينا وسيلة « طبيعية » للمعرفة الحقة لما افتقرنا لضمان خارجي،ولو كانت قوانا العالية تؤدي وظيفتها كالواجب،وتمضي بالطبع الى الحقيقة، لحملت في نفسها علامة صدقها ، ولطلبنا ذلك قبل الالتجاء الى الضمان الالهي

اما افتقارنا الى ضمان خارج عن العقل والحواس فأدعى الى الشك في الله وحكمه وجوده منهُ الى القول بوجود الله

***

وللتمييز بين الصادق والكاذب من الافكار ، تمهيداً للخروج من التصور الى الوجود ، يصنف ديكارت الافكار في طوائف ثلاث : افكار حادثة او اتفاقية ، هي التي يلوح لنا انها آتية من خارج ، اي التي تقوم في الفكر بمناسبة الحركات الواردة على الحواس من الخارج ، كاللون والصوت والطعم والرائحة والحرارة ، وهي غامضة مختلطة . وافكار مصطنعة ، هي التي نركبها من افكار الطائفة الاولى ، كصورة فرس ذي جناحين،او صورة حيوان نصفهُ انسان ونصفهُ فرس وماشاكل ذلك. واخيراً افكار فطرية ليست مستفادة من الاشياء ولا مركبة بالارادة ، ولكن النفس تستنبطها من ذاتها ، تمتاز بأنها واضحة جلية بسيطة اولية ، وهي التي تتوقف الحياة العقلية بمناها الصحيح ، كفكرة الله والنفس والامتداد واشكاله والحركة وانواعها والعدد والزمان وغيرها . وقد سئل ديكارت في هذه الافكار فقال انهُ يقصد بكونها فطرية ان فينا قوة تحدثها ، وبكونها طبيعية انها في النفس على نحو ما نقول ان السخاء او ان مرضاً ما طبيعيٌ في بعض الاسر . وقال انها ليست مرتسمة في العقل كآيات الشعر في الديوان ولكنها بالقوة فيه كالاشكال في الشمع ، وانها في عقل الطفل على نحو ما هي في عقل الراشد حين لا يفكر فيها

ويعود الى علة الافكار فيقول ان افكار الطائفة الاولى والثانية لاتتطلب علة غير النفس فانها عبارة عن انفعال النفس بالمؤثرات الخارجية وتركيب الانفعالات بعضها مع بعض اما الافكار الفطرية فانها تمثل « طبائع بسيطة وحقائق موضوعية » فمن الخطأ الظن ان العقل علتها الكافية . العقل علة كافية للفكرة من حيث هي فعل نفسي، لامن حيث هي تتضمن كذا او كذا من الحقيقة الموضوعية . وعلى ذلك يجب استعراض الافكار الفطرية والنظر في هل تفسر بالفكر وحده او تقتضي علة خارجية . ذلك سبيلنا للتخلص من التصور الى الوجود

[تتمة البحث تتناول : الله والحقيقة — الانسان والعالم — تتبع للمذهب]